



تفاصيل مؤامرة مبارك ضد المشير أبو غزالة

بقلم: رائف محمد الويشي

23 فبراير 2011

نتحدث اليوم عن قضية أحسب أنها إحدى العلامات الدالة على شخصية حسنى مبارك والتي اشتهر بها طوال حياته ، سواء شخصية الضابط الواشى الغادر المتصل بالجهات الأمنية ضد زملاء السلاح طوال فترة عمله في القوات الجوية ، أو شخصية " الإنسان الذي لا يُلوف ولو أكل لحم الكتوف " التي عُرف بها في آخر أيام أنور السادات ولم يمهل القدر السادات وقتا لإقالته رغم صدور القرار بذلك ، أو تلك التي عُرف بها أمام الشعب منذ أن أمتطى سدة الحكم في مصر ، تلك الشخصية المتعالية الكيدية التي تتمسك بقراراتها رغم ما يعترِبها من غباء فاحش وفساد أزم الأنوف ..

يحسن أولا أن نتصفح تاريخ المشير أبو غزالة كي نقرب إلى أقرب نقطة من الرجلين محل بحث هذا المقال ، كي نخرج في النهاية برأي نستطيع من خلاله الحكم على تلك المؤامرة التي دبرها مبارك ضد المشير للخلص منه :

ولد المرحوم في عام 15 يناير 1930 بقرية زهور الأمراء بمركز الدلنجات بمحافظة البحيرة ، تمتد عائلته إلى قبائل أولاد على في الصحراء الغربية .. تخرج من الكلية الحربية في دفعة عام 1949 وكان الأول على دفعته رغم أنه كان الأصغر سنا وتخصص في سلاح المدفعية .. ضمت قائمة الضباط الأحرار الذين شاركوا في حركة 23 يوليو 1952 اسمه .. حصل على فرقة عسكرية من أكاديمية ستالين بالإتحاد السوفيتي في عام 1961 ، كما حصل على أكاديمية الحرب من أكاديمية ناصر .. شارك في حرب 1948 وهو لا يزال طالبا بالكلية الحربية كما شارك في حرب 1956 ولم يشارك في حرب 1967 بسبب وجوده في تشكيلات المنطقة الغربية ، كان قائدا لسلاح مدفعية الجيش الثاني الميداني في حرب 1973 وحصل على نجمة سيناء بسبب دوره في منع تطويق الفرقة 16 مشاة ومحاصرة الجيش الثاني لتكرار ما حدث للجيش الثالث ، فقد تمكن من تجميع 24 كتيبة مدفعية صبت نيرانها على فرقة شارون في يومي 20 / 21 أكتوبر ..

عينه السادات ملحقا عسكريا في واشنطن في 27 يونيو 1976 وهناك كان أول عسكري غير أمريكي يحصل على دبلوم الشرف من كلية كارلايل العسكرية ، عاد إلى القاهرة بعد ثلاث سنوات ليكون مديرا للمخابرات العسكرية في 15 مايو 1979 ، عُين رئيسا لأركان القوات المسلحة في 15 مايو 1980 ورقى إلى رتبة فريق بعد يومين ، عُين وزيرا للدفاع قبل فترة قصيرة من مصرع أنور السادات ، حصل على رتبة المشير في عام 1982 ..

اشتهر المشير أبو غزالة بتواضعه وبعده عن الفساد ، لم يمتلك سيارة إلا عندما بلغ رتبة اللواء ، وعُرف عنه ذكائه الحاد والذي ترجمه في سنوات الدراسة ، كما اشتهر بوقوفه إلى جانب البسطاء ، فقد كان دائم اللعب مع الجنود في مباريات لكرة القدم ، وتوضح حادثة إضراب أحد الجنود عن الطعام بسبب فقره ذلك ، فقد أصر الجندي على مقابلة وزير الدفاع ليعرف ظروفه المادية الصعبة ، قابله المشير وخرج الجندي من مكتبه وهو يحمل 800 جنيها (300 من الوزارة + 500 من المشير شخصيا) .. بني المشير منزلا متواضعا له بالقرب من مدرسة المدفعية وفي شارع متواضع لا يزيد عرضه عن ستة أمتار (13 شارع المهدي خلف مسجد الشيخ بخيت بحلمية الزيتون) ..

ذهب السادات للقاء ربه لمحاسبته على كامل أعماله ، تلك الأعمال التي بدأت بعصويته في الحرس الحديدي ومرورا بكمال أدهم ثم قتل عبد الناصر وانتهاءً بذبح الجيش المصري ومنعه من تحقيق الانتصار على إسرائيل وتوقيع على اتفاقية وضعت قيودا عديدة وثقيلة

على رقبة الجيش المصري وأخرجت مصر من الصراع ، وهو ما يعنى ضياع المقدسات وسيطرة دولة صهيون على المنطقة ..
(لمزيد من التفاصيل ننوه إلى مقال بعنوان " في ذكرى اغتيال الفريق الليثى ناصف ، اصحي يا شعب " لكاتب المقال على مدونته)

تولى حسنى مبارك الحكم في أعقاب رحيل السادات .. كان المشير أبو غزالة بمجرد توليه منصب وزير الدفاع يمثل عبئا ثقيلا على صدر حسنى مبارك منذ أن كان الأخير نائبا لرئيس الجمهورية ، فقد تفوق عليه في حياة السادات في جميع النقاط سوى نقطة واحدة ، وهى أنه لم يكن من المحافظة التي ينتمي إليها أنور السادات والذي وضع في قراره أن يكون نائبه من محافظته (مذكرات د.محمود جامع " عرفت السادات " والذي كان صديقا له وجليسه منذ طفولته وحتى مصرعه في 6 أكتوبر 1981) ..
كان الماكر مبارك يعلم تماما بحجم كل منهما عند الشعب ، وجاء حادث المنصة ليكشف عن شخصية المشير والتي لا تنتهز الفرص لتعلو في الأرض ، وحفظ كل من الجيش والشعب ذلك الموقف له جيدا ..

لقد استند المشير على ثلاث ركائز استمد منها قوته في وظيفته كوزير للدفاع ، كانت الأولى هي التأييد الكبير من الولايات المتحدة ، ربما كان ذلك بسبب كراهيته للشيوعية وربما بسبب معرفته بالنموذج الأمريكي كونه عاش هناك لثلاث سنوات ، كانت الثانية تأييد الجيش له بسبب ما عُرف عنه من وقوفه الدائم مع الجيش وتواضعه ، وكانت الثالثة هي حب الشعب بسبب التجرد الذي أبداه عندما كانت سدة الحكم أقرب ما تكون إليه عقب حادث المنصة ، بجانب قراراته في إنزال الجيش للشارع بخدماته لحل مشاكل الجماهير ..

كانت كل الوجوه تشير إلى المشير بعيونها لتتحرك بغرض السيطرة وإبعاد مبارك الذي لم يقبله الشعب أبداً ومنذ أن كان نائبا ، بل وأطلق عليه النكات الجارحة .. لم يكن مبارك بعيدا عن قراءة تلك الوجوه ، لقد كان قراره ومنذ أن استلم الحكم بأن تكون الساحة خالية له فقط ، أي لا بد من رحيل المشير الذي يسيطر على القلوب في الخارج والداخل ..

كان مبارك يعلم وقبل أن يتولى الحكم أن مخالفة أمريكا وإغضابها تعد من المحرمات في حياته ، كان عليه أن يعمل بهدوء من أجل تجريد المشير من الركيزة الأولى والتي تعد أهم تلك الركائز الثلاث التي يستند عليها ..

استعمل حسنى مبارك سلطان المال للسيطرة على المشير ، كانت القصة هي شركة لتجارة السلاح تسمى الأجنحة البيضاء The White Wings أنشأها مبارك وكان مقرها باريس ، كان ذلك في عام 1982 .. اقنع مبارك المشير كي ينضم معه في شراكتها ، لم يكن ينقص مبارك المالي ليطلب شراكة المشير ، لكنه كان يريد السيطرة عليه من خلال سلطان المال ..
كان اللواء طيار منير ثابت (شقيق سوزان مبارك) وحسين سالم (الشخصية الخفية في حياة مبارك) ومحمد نصير (كان يعمل في أعماله الخاصة مجدي راسخ والد هايدى راسخ التي تزوجها علاء مبارك) يعملون كمساعدين لمبارك في شركة الأجنحة البيضاء .. خرجت الرائحة في شتاء عام 1986 ، وطلب المشير أن ينسحب من تلك الشراكة .. فشل مبارك في خطته وخرج المشير وأوضح الفشل شخصية المشير المحافظة التي تبعد عن المناطق الرمادية ..

بدأت المرحلة الثانية بعد فترة ليست طويلة في نسج خيوطها طبقا لما ظهر من معطيات من شخصية المشير في المرحلة الأولى ، كان ذلك في الربع الأخير من صيف عام 1986 ومهد مبارك للمرحلة الثانية بعملية " نفخ " فى شخصية المشير ..

بدأت ملامح هذا " النفخ " عندما ظهر المشير على شاشة التلفزيون عدة مرات وهو يقف في غرفة العمليات يشرح سبل مقاومة المد الشيوعي الذي يحزّم مصر في شكل هلال (كان يقف أمام خريطة ويشير بعصاة فى يده إلى اليمن الجنوبي وأثيوبيا وليبيا) ..

كان هدف مبارك من ظهوره هو مخاطبة الداخل والخارج معا ، ففي الداخل بيّن ظهوره على أنه يسيطر على الأمور وأن مبارك يعمل تحت حماية المشير ، خاصة بعد أن سيطرت قوات الصاعقة على معسكرات الأمن المركزي بعد تمرد لها في فبراير 1986 ، أما في الخارج فقد أعطى مبارك إشارات لأمريكا مفادها أن المشير هو رجلكم في مصر والمحارب الأول ضد الشيوعية ..

بدأت التروس تدور في تنفيذ المرحلة الثانية ، كانت متعددة الأطوار وتتحرك بهدوء وحرص شديدين بسبب شخصية المشير التي لا تغامر ولا تقبل التوريط ، يمكن أن نضع أطوار تلك المرحلة في النقاط التالية :

*** حسنى مبارك يزور الجيش الثاني الميداني** ويعقد لقاءً مفتوحاً مع الكثير من ضباطه ، كان المشير يجلس بجواره مع رئيس الأركان .. يقف أحد شباب الضباط في المنطقة الوسطى حيث يجلس آلاف الضباط ، يصيح الضابط أثناء إلقاء مبارك لكلمته " يا فندم مفيش عندنا رادع استراتيجي .. يا فندم الجيش كده عريان " .. يقف بعض شباب الضباط ويؤيدون ما قاله زميلهم ، مبارك بيدي بعض المفاجأة المصطنعة من مقاطعته لكنه يبتسم ابتسامة خفيفة .. قائد الجيش يقف مصدوماً وأصفر الوجه مما حدث ويطلب بيديه التزام الصمت ..

*** بعد أيام يذهب أحد كبار ضباط الحرس الجمهوري للمشير** ويخبره بأن الرئيس غاضب مما حدث في لقائه الميداني ، بيدي الضابط أثناء حديثه مع المشير تضامنه مع الضباط الشباب الذين تحدثوا ويعرب عن نيته الحديث مع الرئيس بضرورة تغطية الجيش برادع استراتيجي ..

*** يعود ضابط الحرس الجمهوري إلى المشير** ليخبره أن الرئيس لا يمانع في بدأ التحرك نحو إيجاد الرادع الإستراتيجي ، والذي تفقده مصر منذ محاولة إنشائه في منتصف ستينات القرن الماضي لتوقفه على يد الموساد بفضل مجهودات رئيسها الداهية أيسر هارئيل ، والذي دفع وظيفته ثمنا رخيصا في مقابل حرمان مصر منه ..

*** تثمر مجهودات المشير** عن زرع أحد عباقرة مصر العسكريين في أحد مراكز الصواريخ في وكالة ناسا .. كان ضابطا برتبة مقدم وكان اسمه عبد القادر حلمي .. رتبت له المخابرات المصرية قصة للخروج من مصر بحجة الاضطهاد الديني الذي قال أنه يعاني منه ، كانت أمريكا في تلك الفترة تتبنى مساعدة الفكر الإسلامي الجهادي في أفغانستان لاستنزاف الإتحاد السوفيتي بالدماء الإسلامية .. كان الشاب العبقري عقب تخرجه قد حصل على جائزة تقديرية من وزير الحربية حينها – الفريق أول أحمد إسماعيل على – لاختراعاته المميزة.. ظهر عبد القادر حلمي في كاليفورنيا وأطلق لحيته وارتدت زوجته الزى الإسلامي وكان دائم الحضور على أحد المراكز الإسلامية هناك .. حصل على عمل في وكالة ناسا وفي أحد الأقسام الهامة والقريبة من صناعة الصواريخ ..

*** المشير يتحرك في طريق مواز آخر** ويقوم بالتعاون مع العراق والأرجنتين لصناعة صاروخ حديث يتجاوز مسافة 1300 كم .. أطلق عليه اسم كوندور – طائر أسطوري في أمريكا اللاتينية - وكان نسخة من الصاروخ الأمريكي " بيرشنج 2 " ، كان صاروخا بالوقود الصلب وأنتجته أمريكا في عام 1982 وقامت بإنتاج نسخة معدلة منه في عام 1985 ..

ظهرت النسخة المعدلة من الصاروخ الأمريكي في التصميمات التي قدمتها مصر في إطار المشروع المشترك " كوندور " ، كان ذلك يعنى أن بصمات عبد القادر قد أنت أكلها .. تخطى عبد القادر حلمي حدود عبقريته في عمل آخر طلبه منه المشير ، كانت مكالمة من مقر وزارة الدفاع في القاهرة ونطق بها اللواء حسام خيرت والذي كان الملحق العسكري لمصر في فيينا " أبونا عايز المادة الكربونية بأي ثمن " ..

كانت تلك المادة تخفي البصمة الحرارية للصاروخ عن الرادار وتزيد من مداه بسبب ما تحدثه من تقليل احتكاكه بالهواء ، ينجح عبد القادر في شحن كمية كبيرة منها إلى مصر عن طريق طائرة نقل عسكرية مصرية وصلت إلى أمريكا وتحمل الحصانة الدبلوماسية ..

تبدأ المرحلة الثالثة والأخيرة للتخلص من المشير وهي إبلاغ الأجهزة الأمريكية بما يفعله عبد القادر حلمي .. تلقى المباحث الفيدرالية القبض على عبد القادر حلمي وتبين التحقيقات أنه جند أكثر من عالم أمريكي للصواريخ .. تطلب أمريكا وقف برنامج الصواريخ المصري فوراً وإعادة المادة الكربونية ومعاقبة المسؤولين عن ذلك ..

في أبريل 1989 يغادر المشير منصبه كوزير للدفاع بعد أن نجح مبارك في نزع الغطاء الأمريكي عنه .. في ديسمبر 1989 يحكم علي عبد القادر حلمي بالسجن لأربع سنوات ، تذهب زوجته في صحبة طفلها إلى القنصلية المصرية في كاليفورنيا لطلب المساعدة بعد القبض عليه ، تقوم القنصلية بطردهم وتقضى الأسرة عدة أيام في مسجد مجاور في رعاية فاعلي الخير ..

يجتمع مبارك بالمسؤولين الأمريكيين بعد إقالة المشير ويبدى العتاب عليهم في حديثه : " أليس هذا رجلكم الأول في مصر؟! ، لقد صنع ما صنع رغم تحذيري له ، كنت أظنه أنه قد سمع تلك التحذيرات ، لقد اتضح الآن أنه خدعني وخدعكم أيضا ... " ...

استدار مبارك إلى الداخل للتعامل مع الركيذتين المتبقيتين ، كان الداخل دائماً في يد الحاكم المصري يحركه كيف يشاء ، كان يكفى خبر في الصحف عن قصة غرامية تربط المشير مع إحدى السيدات – لوسى آرتين وهى مصرية أرمنية - لهدم هذا الرجل الشامخ واغتياله معنوياً أمام الجيش والشعب معا وفى لحظات ..

كان المؤلف في الخبر أن المشير هو من يمك على مبارك الكثير من القصص في هذا المجال ، وضمنها قصة فنانة مصرية معروفة تم إسقاطها من شرفتها فى لندن بعد أن أصرت على كتابة مذكراتها التي تقص أنباء ما حدث لها في قصر العروبة وما واجهته على يد المقدم صفوت الشريف في النصف الأول من ستينات القرن الماضي ..
(لمزيد من المعرفة ننوه إلى مقال بعنوان " 21 يونيه 2001 ، هل تذكرون؟! " لكاتب المقال على مدونته) ..

لقد رحل المشير في 6 سبتمبر 2008 بعد أن فرض عليه القدر حصاراً مزدوجاً من المرض الخبيث ومن مبارك الذي رفض خروجه لتلقى العلاج رغم مناقشات القادة العرب ليضمن بقاء ما يحمل المشير من أسرار تحت سيطرته .. المشير تحت الإقامة الجبرية بأمر من مبارك ، ها هو الرجل الذي فك حصار مصر في عسرتها عدة مرات يرفض مبارك سفره إلى الخارج في مراحل المرض الأولى حيث التغلب عليه كان في تناول الأطباء ، تتكاثر الخلايا في جسده ويسقط البطل مؤجلاً الحسم ليوم عظيم ..

يقول مراسل إذاعة BBC في لندن أحمد مصطفى في مقالته المنشورة في 8 سبتمبر 2008 عن المشير ما يلي : " التقيت بالمشير في احتفالية القوات المسلحة بمرور 25 عاماً على حرب أكتوبر – يقصد عام 1998 – وكنت أحاول إقناعه بالتسجيل لبرنامج وثائقي كنت أعده ، لكنه رفض .. شاهدت بنفسى تعبيره حين سخر من الرئيس وأعوانه على مسمع منهم بطريق أفزعتني خوفاً .. ساعتها ابتعدت وأنا أحاول النجاة بنفسى ولم أعد مهتماً بالتسجيل معه من عدمه " ..

يقول الخبير العسكري اللواء شوقي فراج ما يلي : " عشت مع المشير أبو غزالة في الجيش الثاني عندما كان قائداً للمدفعية ، وكنت أنا رئيس مهندسي الجيش الثاني ، وقد لازمته يوماً في الفترة من أكتوبر 71 حتى أبريل 74 ، ولمست من خلال هذه المعاشية أنه - رحمه الله - كان رجلاً بمعنى الكلمة ، فقد ضرب أروع الأمثلة في الجرأة والشجاعة والذوق والتواضع ، لقد خسرت مصر رجلاً من أعز الرجال عندما أقيل المشير ، لقد أدت إقالته إلى صعود أنصاف رجال آخرين صعدوا إلى عنان السماء وهم لا يساؤون شيئاً ، وما قيل في حقه غير منطقي وغير معقول ، وإنما مجرد مؤامرات تم تدبيرها ضده ، وأدعو الله أن يتغمده برحمته وأن يجعل كل ما قدمه لمصر في ميزان حسناته " ..

أما المهندس حسب الله الكفراوي فقد صرح أكثر من مرة وعقب وفاة المشير أبو غزالة بأنه - رحمه الله - حلف أمامه على المصحف بأنه لم تربطه علاقة مع لوسى آرتين أو غيرها طوال حياته إلا زوجته السيدة أشجان ..

للحديث بقية ..

رانف محمد الويشى

سانت لويس - ميزورى - أمريكا

elwisheer@yahoo.com

تابع مقالات سابقة لكاتب المقال على مدونته " ثوار مصر " وعنوانها كما يلي :

www.thowarmisr.com